المبحث الأول

المذهب الفردي

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: حقيقة المذهب الفردي.

المطلب الثاني: أبرز روَّاد المذهب الفردي.

المطلب الثالث: فلسفة التربية الحديثة في المذهب الفردي.

المطلب الرابع: نقد المذهب الفردي.

المطلب الأول

حقيقة المذهب الفردي

يقصد بالفردية: اهتمام المرء بنفسه، ومحافظته على ذاتيته، واستقلاله وكيانه[1].

المذهب الفردي يختلف تعريفه باختلاف العلم الذي يرد فيه، وما يهمنا هنا هو تعريفه في علوم الاجتماع والسياسة والتربية، فالمذهب الفردي في تلك العلوم قائم على تقديس الفرد، وتقديم حقوقه على حق المجتمع ومؤسساته.

(١) شخصية المسلم (١٢).

جاء في المعجم الفلسفي لصليبا تعريف المذهب الفردي بأنه: «مذهب من يرى أن غاية المجتمع رعاية مصلحة الفرد، والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه»[١].

وبأنه يطلق على: «القول: إن قيمة الفرد أعلى من قيمة المؤسسات المحيطة به، لأن الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت الدولة»[٢].

يرى أصحاب المذهب الفردي أن الإنسان فردي النزعة، وأن المجتمع مفروض عليه من خارج نفسه، متحكم فيه بغير إرادته، ومن ثمَّ فهو مكروه، وتفتيته وتفكيكه حلال[٣].

يقوم المذهب الفردي على إبراز كيان الفرد حتى يجعله مقدساً، يحرم على المجتمع المساس بحريته، وليس له أن يحرِّج عليه، وليس له أن يقول له: هذا خطأ وهذا صواب[٤].

وهناك مذهب مقارب للمذهب الفردي، وهو

(١) (٢/ ١٤١).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) انظر: منهج التربية الإسلامية (١/ ١٦٣).
(٤) انظر: جاهلية القرن العشرين (١٣٠).

المذهب الشخصاني، جاء تعريفه في المعجم الفلسفي لصليبا بأنه: «مذهب أخلاقي واجتماعي مبني على القول: إن للشخص الإنساني قيمة مطلقة، وهو مذهب الفيلسوف مونيه.. وهو يفرق بين المذهب الشخصاني والمذهب الفردي، ويتكلم على اندماج الشخص في المجتمع والعالم»[١].

فالشخصانية مذهب فلسفي يدعو إلى الحرية، ويرفض كل القيود التي تلغي حرية الشخص وإبداعه، إلَّا أنها ترى أن المذهب الفردي يغلو في الفرد حتى يدعو إلى انعزاله عن المجتمع، بخلاف الشخصانية فإنها مع دعوتها للحرية، فإنها تدعو الفرد إلى أن يكون مندمجاً مع المجتمع دون أن يفقد ذاته[٢].

وقد نتج المذهب الفردي في الغرب لعدة أسباب أبرزها[٣]:

١ ـ ردة فعل للطغيان الكنسي، وفرضه سلطاناً مذلاً على كاهل الناس.

---

(١) (١/ ٦٩٠).
(٢) انظر: الفردية في الفكر الفلسفي المعاصر، د. حسن الكحلاني (١٩٠).
(٣) انظر: جاهلية القرن العشرين (١٣١ ـ ١٣٦).

٢ ـ ردة فعل لاستبداد الإقطاعيين بالأفراد، وسلبهم حقوقهم وحرياتهم.

٣ ـ الانقلاب الصناعي الذي حدث في عصر النهضة الأوروبية، والذي أحدث تغيراً كاملاً في صورة المجتمع، وقدم العمال فرادى من الريف، كل منهم يسعى لتحقيق ذاته، ونفع نفسه.

٤ ـ تشجيع الرأسمالية للمذهب الفردي، لقيامها على أساسه، ومدافعتها عنه دفاعاً عنيفاً، وكان شعارهم الذي رفعوه: «دعه يعمل. دعه يمر»، أي: دع الفرد يعمل ما يشاء بلا حواجز، دعه يمر بلا عوائق. فكانت دعوة للانطلاق من القيود[١].

وعلى كلٍّ، فالمذهب الفردي والشخصاني الذي نشأ في الغرب، ومرَّ بمراحل عدة، منذ بداية عصر النهضة الأوربية إلى عصرنا الحاضر، إنما يهدف ـ كما يظن أصحابه ـ إلى إنقاذ الإنسان مما أصابه من تسلط المجتمع عليه سواء في ذلك مجتمع الكنيسة أو الإقطاع أو الرأسماليين، هذه المجتمعات بفلسفاتها قد أفقدت الإنسان إنسانيته، فأرادوا إعادتها إليه عن طريق تحرير

(١) انظر: جاهلية القرن العشرين (١٤١ ـ ١٤٢).

الإنسان من تلك الفلسفات وتلك المجتمعات، فجاءت الدعوة إلى الإنسانية، وإلى تحقيق إنسانية الإنسان، وذلك بأن يكون هو مقياس الحكم على الأشياء، وتنبع القوانين من ذاته، ويصل للمعرفة بنفسه، ويسعى سعياً حثيثاً لتحقيق المنفعة الذاتية لنفسه باستغلال خيرات الطبيعة وإشباع رغباته وشهواته، فهذه هي القضية الكبرى، من فهمها فهم جميع الفلسفات الغربية المعاصرة من ديمقراطية وعلمانية وليبرالية وبراجماتية ووجودية، فكلها تقوم على الدعوة إلى تحقيق إنسانية الإنسان من خلال التمرد على مؤسسات المجتمع المختلفة إن كانت لا تسعى في تحقيق رغبات الأفراد ومصالحهم، وكذلك من خلال التمرد على كل القيم والعادات والأعراف التي من شأنها أن تحول بين شهوات الفرد ونزواته[١].

(١) انظر: الإنسانية والوجودية، د. عبد الرحمٰن بدوي (١٨، ٢١، ٢٥).

المطلب الثاني

أبرز روَّاد المذهب الفردي

١ ـ يعتبر، كارل روجرز، عالم النفس الأمريكي، رائد هذا المذهب، والذي وجهه إلى ميدان علم النفس والتربية. وهو ينادي بوجوب إتاحة الفرصة للأفراد للعيش في عالم متحرر من ضغوط المجتمع، وليختاروا القيم التي تنبع من داخلهم. فهو يود تحرير الأفراد من القيود المدمِّرة ـ كما يسميها ـ التي يفرضها المجتمع عليهم[١].

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية (٤٦٨).

٢ ـ ويعتبر المذهب الفردي امتداداً لآراء فرويد وآراء مدرسة التحليل النفسي، والذين يزعمون بأن الفرد هو الضحية الدائمة للمجتمع، وأن المجتمع شيء مفروض على الإنسان من خارج كيانه، وضاغط عليه، وكابت لرغباته، ومعوِّق لنموه الأصيل[١].

٣ ـ وتعتبر الرأسمالية في الغرب قائمة على أساس فردية الإنسان، فتوسع له في حدود فرديته، وتترك له حرية التصرف في كثير من الأمر حتى يصل إلى حد إيذاء نفسه وإيذاء الآخرين، تحت ستار الحرية الشخصية[٢].

٤ ـ وكذلك يتبنى هذا المذهب علماء النفس الفرديون، والذين ينظرون إلى المجتمع من وجهة نظر الفرد، فيبالغون في تقديره كشخصية مستقلة، لها كيانها المنفصل عن الآخرين، كما يبالغون في الحجر على حق المجتمع في تأديب الفرد الخارج على طاعته[٣].

٥ ـ وكذلك ينادي بهذا المذهب: الوجوديون وغيرهم من المنحلين، الذين يقولون بأن المجتمع لا

---

(١) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١٣٩).
(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية (١٦٢).
(٣) انظر: الإسلام بين المادية والإسلام (١١١).

يضره شيء في أن يستمتع الفرد بحريته في شؤونه الشخصية، لأن الفرد هو الأصل، وهو الذي ينبغي أن يتحقق له وجوده الكامل، رضي الآخرون أو غضبوا[١].

فالوجودية فلسفة فردانية وذاتية، رائدها سورين كيركجارد، الذي أوصى: أن يكتب على ضريحه جملة «هذا هو الفرد»، فهو يرى أن كل فرد يمتلك الحقيقة، لكن الحقيقة تضيع حين يكون الفرد مع المجتمع وسط التصويت والضوضاء، ولذا فهو يرفض الديمقراطية لأنها عدوة الفرد المتميز، فكل تجمع ـ عنده ـ مهما كان يفسد الروح الفردية إذ يدمجها في المجموع، فلا يكون لها رأي إلا بعد الأصوات[٢].

وكذلك سارتر من فلاسفة الوجودية ودعاة الفردية، والذي يقول عن الآخر بأنه الجحيم، ويرى أن المجتمع يفقد الفرد حريته، فلا بد أن يظل الفرد في صراع مستمر مع المجتمع بقيمه المطلقة، ومعاييره الثابتة، ليغيرها وفق ما يراه، فهو مسؤول عن نفسه وعن الآخرين والعالم[٣].

---

(١) انظر: الإسلام بين المادية والإسلام (١١٥).
(٢) انظر: الفردانية (٥١ ـ ٧٦).
(٣) انظر: المصدر السابق (١٤٤ ـ ١٧٩).

٦ ـ وكذلك ينادي بالفردية، فيلسوف القوة: نيتشة، الداعي إلى وصول الفرد إلى مرحلة «السوبرمان»، فهو يدعو الفرد إلى قتل النزعة الجماعية في نفسه، لكون الجماعة تفقد الفرد الإحساس بالمسؤولية، وتدمر شخصيته، فالجمهور عند نيتشة أكبر خطر يهدد الفرد وحريته وإبداعه[1].

(١) انظر: المصدر السابق (٨٨ ـ ٩٣).

المطلب الثالث

فلسفة التربية الحديثة في المذهب الفردي

يرى أصحاب المذهب الفردي أن التربية يجب أن تنطلق من الفرد وتنتهي بالمجتمع، وعليها أن تساعد الأفراد للتحرر من القيود التي فرضها عليهم المجتمع.

إنهم يرون أن الأفراد يتسترون خلف قناعات زائفة تخفي حقيقتهم الأساسية، هذه القناعات الزائفة هي القيم التي يفرضها المجتمع عليهم، وهم في الواقع يؤمنون بأشياء أخرى غيرها، فلا بد إذن أن تساعدهم التربية على إخراج القيم النابعة من داخلهم، وتحطيم القيود المفروضة

عليهم من خارجهم، وبذلك يتعامل الأفراد مع بعضهم طبقاً لرغباتهم الفطرية المتحررة من القيود التي نسجتها اتجاهات المجتمع وقيوده[١].

(١) انظر: أهداف التربية الإسلامية (٤٦٨ ـ ٤٦٩).

المطلب الرابع

نقد المذهب الفردي

١ ـ أول نقد يوجه للمذهب الفردي أنه اهتم بجانب من الإنسان ـ بغض النظر عن كيفية الاهتمام ـ وأهمل جانباً آخر، وبالتالي فلن يتوازن الإنسان، ويكتمل نموه، فهو قد أهمل الجانب الجماعي في الإنسان، وهو حاجة ورغبة ملحة فيه. ففي الإنسان هذه الطبيعة المزدوجة: الميل إلى الفردية، والميل إلى الجماعية، وكلاهما أصيل فيه، فلا بد من العناية بهما معاً، وإلا حصل الاضطراب في باطن النفس، وفي

واقع الحياة[١].

٢ ـ لقد وسعوا دائرة الفردية حتى خرجوا بالإنسان إلى الأنانية المرذولة، وساهموا في تفكيك المجتمع، وتشتيت طاقاته[٢].

٣ ـ اعتبارهم المجتمع مفروض على الفرد خطأ، لأن المجتمع ناشئ من داخل كيان الفرد، ناشئ من رغبته في الاجتماع بالآخرين، ونقصد بالمجتمع: المجتمع الطبيعي الذي ينشأ من تلاقي الأفراد، لا نقصد به المجتمع المنحرف، وهم كذلك لا يقصدونه، وإنما يقصدون أي مجتمع هو مفروض على الفرد، معوّق لنموه، والصحيح بأنه ما هو إلا تكملة طبيعية للفرد، وامتداد طبيعي يجد فيه الفرد وجوده المتكامل السليم[٣].

٤ ـ إن خروج الأفراد على تقاليد المجتمع الصحيحة دون رادع، وتنازل المجتمع عن تقاليده تلك نتيجته الحتمية: انهيار المجتمع بكارثة تصيبه من الداخل أو الخارج، وتؤدي في النهاية إلى حرمان أولئك الأفراد

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية (١٦٣).

(٢) انظر: دراسات في النفس الإنسانية (١٣٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٣٩)، والإنسان بين المادية والإسلام (١١٢).

أنفسهم مما كانوا غارقين فيه من المتاع المباح[١].

٥ ـ إن المذهب الفردي ينفي عن الإنسان كل هدف أبعد من هدف المصلحة المباشرة القريبة، وينفي عن الإنسان عنصر التطلع إلى ما هو أبعد من الذات[٢].

٦ ـ لقد نتج عن المذهب الفردي ظواهر نفسية سيئة مثل: الشعور بالوحدة، والنرجسية، والانكفاء الذاتي، وكذلك ساهم في تكوين علاقات جديدة مثل: علاقات البارات، وأماكن المخدرات، وعصابات الجريمة، بل أثر المذهب الفردي في زيادة نسب الطلاق والانتحار والجريمة، وقلة الاهتمام بالفقراء والضعفاء[٣].

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام (١٢٠).
(٢) انظر: السلام العالمي والإسلام (١٠٤).
(٣) انظر: اتجاهات معاصرة في التربية الأخلاقية (١٠٤).